

أسباب العداء الروسي للمسلمين

- الروس والقسطنطينية .
- الفتح الإسلامي للقسطنطينية .
- استرجاع القسطنطينية هدف استراتيجي للروس .
- تحالف نصارى أوروبا ضد الدولة العثمانية لاسترجاع القسطنطينية.

obeikandi.com

أسباب العداء الروسي للمسلمين

الروس والقسطنطينية :

القسطنطينية هي بيزنطة ، مدينة لها تاريخ لدى الروس^(١)، ومن قبلهم السروم والإغريق ، تاريخ المجد والقوة ، كانت عاصمة العالم العظمى وروما الشرقية ، بناها المستوطنون الإغريق ، واشتق اسمها من اسم القائد الإغريقي "بيزاس" وفي موقع بيزنطة ، أقام الامبراطور " قسطنطين " القسطنطينية ، عام ٣٣٠ م . ذلك الموقع الحصين حيث تلتقي أوروبا بآسيا على ضفاف السفور والدرديل ، ونقلت العاصمة إليها من روما ، وانتقل النفوذ إلى أيدي المسيحيين الأرثوذكس ، وبعد أن انقسمت الامبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية عام ٣٩٥ م . تحولت القسطنطينية إلى حصن ضد الإسلام ، بعد أن جعلها قسطنطين إحدى العواصم العالمية ، وجعلها مركزا دينيا هاما ، لاعتناقه النصرانية على المذهب الأرثوذكسي^(٢).

حاول السلاف والبلغار غزو القسطنطينية منذ القدم ، وكان ارتباط الروس بها ارتباطا مذهبيا منذ أن دخل الأمير الروسي " فلاديمير " النصرانية ودعى البطريركية البيزنطية كي تبني لها كرسي أسقفيا في كييف على المذهب البيزنطي ، وارتبطت الكنيسة الروسية بكنيسة آيا صوفيا ، خاصة بعد أن عقد قسطنطين الأول فيها المجامع المسكونية الأولى ، ودارت على أرضها رحى المعارك والخلافات المذهبية فسي القرنين الثامن والتاسع الميلاديين . والجدير بالذكر أن تلك المجامع لم تلتزم بالتصور الحق لله عز وجل ، وهو تصور عيسى عليه السلام والمسيحيين الأوائل ، وتبنت عقيدة التثليث .

كما يرجع اهتمام الروس بالقسطنطينية إلى موقعها الطبيعي الهام كمنفذ بحري يربط البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق المضائق ، ويوصل البلاد الروسية بالمياه الدفيئة والعالم العربي وأفريقيا والهند .

(١) وصفهم المؤرخون العرب من أمثال ابن فضلان، وابن بطوطة، وابن رسته، والمسعودي، بأنهم أمة همجية طبعها التوحش، وشيمتهم الغدر، شقر الأبدان، صفر الشعور، طوال اللامات، ضخام الأجسام، أفذر الأمم قاطبة، لا يستنجون من غائط، ولا يغتسلون من جنابة كأنهم الحمير الضالة. يعاقرون الخمر ويشربوها ليل نهار، وربما مات الواحد منهم والفدح في يده

(٢) د على حسون - العثمانيون والروس - المكتب الإسلامي.

الفتح الإسلامي للقسطنطينية :

استعصت القسطنطينية على الفتح الإسلامي قرون طويلة ، وقد قام المسلمون بمحاولات عدة لفتحها ، بعد أن بشر النبي صلى الله عليه وسلم بفتحها بقوله : " لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش جيشها "

عندما أسس العثمانيون دولتهم لم تلبث أن شهدت عهد قوة وتوسع ، فأحرزوا انتصارات واسعة في أوروبا وآسيا وأفريقيا . ففتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية عام ١٤٥٣م. واتخذها عاصمة للدولة بعد أن غير اسمها إلى "اسلامبول" ، وغير تابعها النصراني البيزنطي إلى طابع إسلامي ، وتحولت الكنائس إلى مساجد . وأحرز انتصارات هائلة في أوروبا وأصبح البحر الأبيض المتوسط الشرقي تحت سيطرته ، واستطاع من بعده السلطان سليم أن بضاعف نفوذه رفة الدولة العثمانية خلال ثمان سنوات ، هاجم فيها فارس وحارب المماليك ودخل دمشق والقاهرة ، وأصبح العثمانيون سادة الجزيرة العربية وأخذوا منصب الخلافة الإسلامية ، ثم جاء السلطان سليمان بن سليم وهدد أوروبا من جديد ، ونشبت العداوة بينه وبين شاركان لعشرات السنين ، واحتاج السلطان سليمان المجر وتوغل في قلب القارة الأوروبية المجزأة ، وحاصر فرسلفن القديس يوحنا حماة جزيرة رودس ، ووصلت جيوش المسلمين إلى أسوار مدينة فيينا ودب اليأس إلى قلب فرديناند ملك بوهيميا ، ودام الحصار الإسلامي للمدينة أربعة أسابيع حلول العثمانيون خلالها اقتحام المدينة أربع مرات ولكنهم أخفقوا بعد اتحاد القوى الصليبية ، وحلول البرد القارس الذي عرقل القتال .

أثار ذلك كله الغرب الصليبي ، فاستنهضت الشعوب النصرانية همم بعضهم البعض ، ورفعوا راية الوحدة في وجه المسلمين الأتراك ، وتزعمت البابوية في روما النضال ضد الأتراك الذين أخضعوا شرق أوروبا لحكمهم . وعقدت الاجتماعات بين ملوك وأمراء أوروبا ، كى يبعثوا حربا صليبية جديدة ، و طرحوا خلافاتهم وعقدوا مؤتمرا في روما برئاسة البابا ، وأجرى الأمير فيليب دوق بورغونديا محادثات تأمرية بين ملوك أوروبا ضد المسلمين ، وأقام تمثيلية في مدينة ليل لاستثارة الحمية والحماس ، دعا إليها نبلأ قومه وعرض منظرا يمثل فتح القسطنطينية واستغاثتها بالنصارى ، وبعد انتهاء الحفل أعلن عزمه منازلة الأتراك حتى لو كان وحيدا .

استرجاع القسطنطينية هدف استراتيجي للروس :

شعر الروس الذين كانوا يدينون بالنصرانية أنهم أصبحوا محاطين بالمسلمين من الشرق والجنوب ، إضافة إلى أنهم يتبعون تلك الدولة التي تسيطر على مفدرات شرق

أوروبا وبعد فتح القسطنطينية تأثر الروس ، إذ أصبحت قاعدتهم الدينية تحست هيمنة المسلمين ، وبعد تقدم العثمانيين في شرق أوروبا ، لاحظ الروس أنهم سيحاطون بالمسلمين من الغرب أيضا ، فبدأت الثورة على المسلمين ، وبدأت قوتهم تزداد واستطاعوا تأسيس إمارتين ، إحداهما في موسكو والثانية في كييف ، وشببت هاتان الإمارات وتخلصتا من الحكم التناري المسلم ، ثم اندمجتا في إمارة واحدة لتقاوم المد الإسلامي ، محتجة في ذلك أن مناطعها تزدهم بالسكان في الوقت الذي يقل أهل البلاد التي تقع إلى الشرق منهم ، ولكنهم في الواقع كانوا لا يريدونها إلا حربا صليبية. تقدم الروس وحققوا انتصارات على التنار في الشرق ، ثم بدأوا حربهم الصليبية بالتوجه نحو الجنوب بغية استعادة القسطنطينية لإعادتها مركزا للأرثوذكس ولوصولهم إلى المياه العذبة ، وكانت حملاتهم أشد الحملات الصليبية ، ولكنهم حيثما اتجهوا كانوا يصطدمون بالمسلمين ، لذلك جرت الحروب الضروس بين الدولتين الناشئتين الدولة العثمانية في الجنوب والدولة الروسية النصرانية الأرثوذكسية في الشمال. سعى الروس إلى استرجاع القسطنطينية من أيدي المسلمين ، وإعادتها إلى حظيرة الكنيسة الأرثوذكسية ، لذلك وضعوا استراتيجية ثابتة تقوم على هزيمة المسلمين ، والقضاء عليهم بل وإعادتهم إلى حظيرة النصرانية ، ومن هنا كان توسعهم الاستعماري نحو الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية في بلاد المسلمين .

وصية بطرس الأكبر :

جاء في وصية الامبراطور الروسي ، بطرس الأكبر : " إن على الروس أن ينتشروا يوما بعد يوم شمالا على سواحل بحر البلطيق وجنوبا على سواحل البحر الأسود ، كما ينبغي للتقرب بقدر الإمكان من استنبول والهند ، لأن من يحكم استنبول يمكنه أن يحكم الدنيا بأسرها ، لذلك فمن اللازم أحداث الحروب مع الدولة العثمانية والدولة الإيرانية ، حتى تصل إلى خليج البصرة وبلاد الهند مخزن الدنيا ، وحينما نستولى على استنبول علينا أن نسلط دول أوروبا على دولة النمسا ، وينبغي أن نستميل لجهتنا جميع النصراني وغيرهم من على مذهب الروم المنكرين رئاسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والولايات العثمانية ، ونجعلهم يتخذوا من دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم ، ومن اللازم قبل كل شيء أحداث رئاسة مذهبية حتى نتمكن من اجراء نوع من النفوذ ، وحكومة رهبانية عليهم" (١)

(١) المرجع السابق

تحالف نصارى أوروبا ضد الدولة العثمانية لاسترجاع القسطنطينية :

سعى الصليبيون إلى طرد العثمانيون من أوروبا واسترجاع الأراضي المقدسة، وتجددت الحماسة النصرانية لقتال العثمانيين في أواخر القرن الثامن عشر ، فدعا فولتير لنصرة الروم ، ونظموا الأشعار الحماسية لمقاومة الأتراك ، و نادوا بضرورة الوحدة بين الروس والغرب الصليبي لمحو السلطنة العثمانية من الوجود ، ولجأت روسيا إلى تحريك نصارى الدولة العثمانية المشتركين معها في المذهب ، كي يكونوا ساعداها الأيمن وسلاحا بشهرونها في وجه أعدائهم المسلمين .

بعد موت "ماريا تريزا" عام ١٧٨٠م. انفسح المجال أمام الامبراطورة "كاترين الثانية" لتتحالف مع الكنيسة على إسقاط الدولة العثمانية ، وتقسيم أملاكها . وتجددت الحماسة النصرانية ، في أواخر القرن الثامن عشر ، واتفق نصارى أوروبا على طرد العثمانيين واسترجاع القسطنطينية ، ومكافأة لقيصرة الروسية على جهادها لنشر الديانة المسيحية بإعطائها بلاد التتار وأزوف ، وأجبروا الباب العالي على عقد معاهدة مع الروس تخلي بموجبها عن شبه جزيرة القرم .

يقول الكاتب الفرنسي فولتاي : " إن الأتراك فتحوا أجمل بلدان العالم وأعظمها في أقل من ٤٠٠ سنة ، ومنذ حوالي المائة سنة الأخيرة ظهرت دولة روسيا قبل هذا التاريخ محبولة ، فتقدمت وأصبح المستقبل لها .. ثم استطرد قائلا : إن تركيا يجب أن تتقوض ، وأشار على بلاده فرنسا الاتفاق مع الروس لذلك الغرض ، وعدم معارضتهم في استخلاص القسطنطينية ."

أرادت إنجلترا التقرب من كاترينا مقترحة تقاسم النفوذ في شرق أوروبا والشرق الأقصى ، فرفضت كاترينا ، ويقول نابليون في منفاه في جزيرة القديسة هيلانة : تذاكوت مرارا مع الروس في أمر السلطنة العثمانية ، وكان ممكنا لولا القسطنطينية التي كانت دائما سببا لمنع الاتفاق ، فقد كان الروس يريدونها ، وأنا لم أكن أرض باستيلائهم عليها لأن القسطنطينية قلن يمكن لأحد أن يعرف ما يتبع ذلك من المصائب والحروب ، وإن ارتفع تاج هذه البداة على رأس يملك من البلطيق شمالا حتى البحر المتوسط جنوبا ، فليس من المستعد أن نجد أقواما من البرابرة يهجمون على فرنسا من جهة البحر " وقصد بذلك الروس .